العرب
الخميس 2020/03/12
السنة 42 العدد 11644

تذبذب سياسة تركيا يخرج عن السيطرة في إدلب

غوكهان باجيك
كاتب وباحث تركي

يتبين من نظرية الإسلاموية أن هذا التوجه السياسي الممزوج بالدين يُلزم تركيا بأن تتحول إلى دولة مُحاربة؛ فهذه النظرية تؤكد أن الإسلاموية تجعل من حالة الحرب أمرا طبيعيا وسمة دائمة في البلاد.

وهناك مقولة شهيرة في تركيا مفادها أنه ينبغي علينا الاعتياد على التعايش مع الزلازل. وبالمفهوم السياسي، فإن هذا يعني الاعتياد على الحرب.

الرئيس التركي رجب طيّب أردوغان قال في كلمة ألقاها في الآونة الأخيرة، قبل لقائه مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الخميس الماضي، إنه يتمنى أن يحارب الحكومة السورية بانفتاح أكبر. في تلك الكلمة، طلب أردوغان من بوتين التنحي جانبا عن معركة مدينة إدلب السورية، والسماح بحرب بين تركيا وسوريا وجها لوجه، كاشفا بذلك ولع صنّاع القرار الشديد بالحرب.

أنقرة فشلت في إدراك حقيقة أن محاولاتها لإثارة كل طرف ضد الآخر ليست بلا ثمن سياسي. فتركيا لم تجنِ أي شيء من هذا التلوُّن

وخلال السنوات الثلاث الماضية، كانت تركيا تركّز على روسيا في سياستها، التي أصبحت مصدر إزعاج مستمر لكتلة حلف شمال الأطلسي. ولم يكن هناك شخص أسعد بذلك الوضع من بوتين.

لكن في الأسابيع القليلة الماضية، وصلت تركيا إلى مرحلة بات فيها وكلاؤها في سوريا يستهدفون الروس، ويقاتلون الميليشيات المدعومة من إيران ومسلحي حزب الله اللبناني.

وإذا كان هذا الأمر أكثر من مجرد انتقام بسبب مقتل جنودها، فإن أنقرة تكون بذلك قد غيّرت موقفها تماما، وصارت لديها الآن الرغبة في أن يعلم زملاؤها في حلف شمال الأطلسي أنها مستعدّة لإيلام روسيا وحلفائها.

الجانب المهم هنا هو أن روسيا وإيران لم تتوقعا في يوم من الأيام أن تأتيهما تركيا راغبة وتنضم إلى صفوفهما بشكل كامل ودائم. أيضا، كانت العلاقات مع هذين البلدين سطحية وقائمة بشكل أساسي على البراغماتية السياسية والاقتصادية.

لكن، الأمر الأسوأ بالنسبة لتركيا هو أنها فشلت في إقناع الغرب بتحركاتها في الآونة الأخيرة إقناعا تاما. فقد ظلّت السياسة التركية تتلون على مدى نحو ست سنوات، ومن الطبيعي أن تكون لدى الكتلة الغربية شكوك في مثل تلك السياسة التي لا تستقر على حال، وتتغير بين عشية وضحاها.

لذلك، فإن تركيا كبلد ليست أكثر من منطقة عازلة في نظر الغرب.

وإذا لعبت تركيا بإرادتها دورا يُعكر صفو روسيا وإيران وحزب الله في سوريا، فإن هذا، بالتأكيد، سيكون محل تشجيع من الدول الغربية.

وتكمن المشكلة الحقيقية هنا في أن أنقرة فشلت في إدراك حقيقة أن محاولاتها لإثارة كل طرف ضد الآخر ليست بلا ثمن سياسي. فتركيا لم تجن أي شيء من هذا التلوُّن، بينما تتزايد التكلفة التي يتحملها الاقتصاد والمجتمع التركي بسبب ذلك السلوك.

النقطة المهمة جدا هنا هي تسييس الجيش. بالتأكيد يجب أن تكون القوات المسلحة مسؤولة أمام الإدارة المدنية، لكن هذا لا يجب أن يعني إملاء المدنيين تكتيكات الجيش.

ويتولى وزير الدفاع خلوصي أكار، المسؤولية الفعلية عن قيادة الجيش، ليس كقائد يرسم السياسات، وإنما كقائد عسكري. بمعنى آخر، فإن أكار، وهو قائد مدني بالمفهوم الفني، هو من يقود عمليات الجيش في سوريا.

وقد حاولت الحكومة تأسيس نظام جديد من خلال مفهوم الصراع مع حركة فتح الله غولن، التي تتهمها أنقرة بتدبير محاولة الانقلاب الفاشلة في 15 يوليو 2016. وستخدم الحرب في سوريا الغرض ذاته.

ولا أعتقد أن موجة النزعات القومية التي تعلو في تركيا اليوم سبق لها مثيل خلال حرب الاستقلال التركية. ومن الأهمية بمكان أن نرى كيف خلقت هذه الموجة مجتمعا جديدا.

الأعجب من ذلك أن أشخاصا من جميع الفصائل في تركيا صاروا مؤمنين بالتوجهات القومية الإسلامية العسكرية التي أسس لها أردوغان. فنجد أن بعض الدوائر الدينية التي أغضبها الرئيس مازالت تعتنق آراءه الدينية، بينما هناك علمانيون أيضا يقدّرون سياساته ضد المهاجرين.

مفاد القول أن المجتمع رحّب بهذه الموجة الجديدة وبدا سعيدا بها.

كان هناك بعدان كبيران يشكّلان ملامح المشهد التركي. أحد هذين البعدين هو السياسة الخارجية، وقد انهارت. أما البعد الثاني فهو الاقتصاد، لكن في ظل موجة الشعبوية الأردوغانية المخيفة، يجب علينا ألا نضع ثقة كبيرة في الواقع الاقتصادي.

الحقيقة الواضحة هي أن أردوغان رسم طريقا جديدا لتركيا. وليس بوسعنا أن نفعل شيئا سوى أن ننتظر لنرى إلى أين سيأخذنا هذا الطريق.

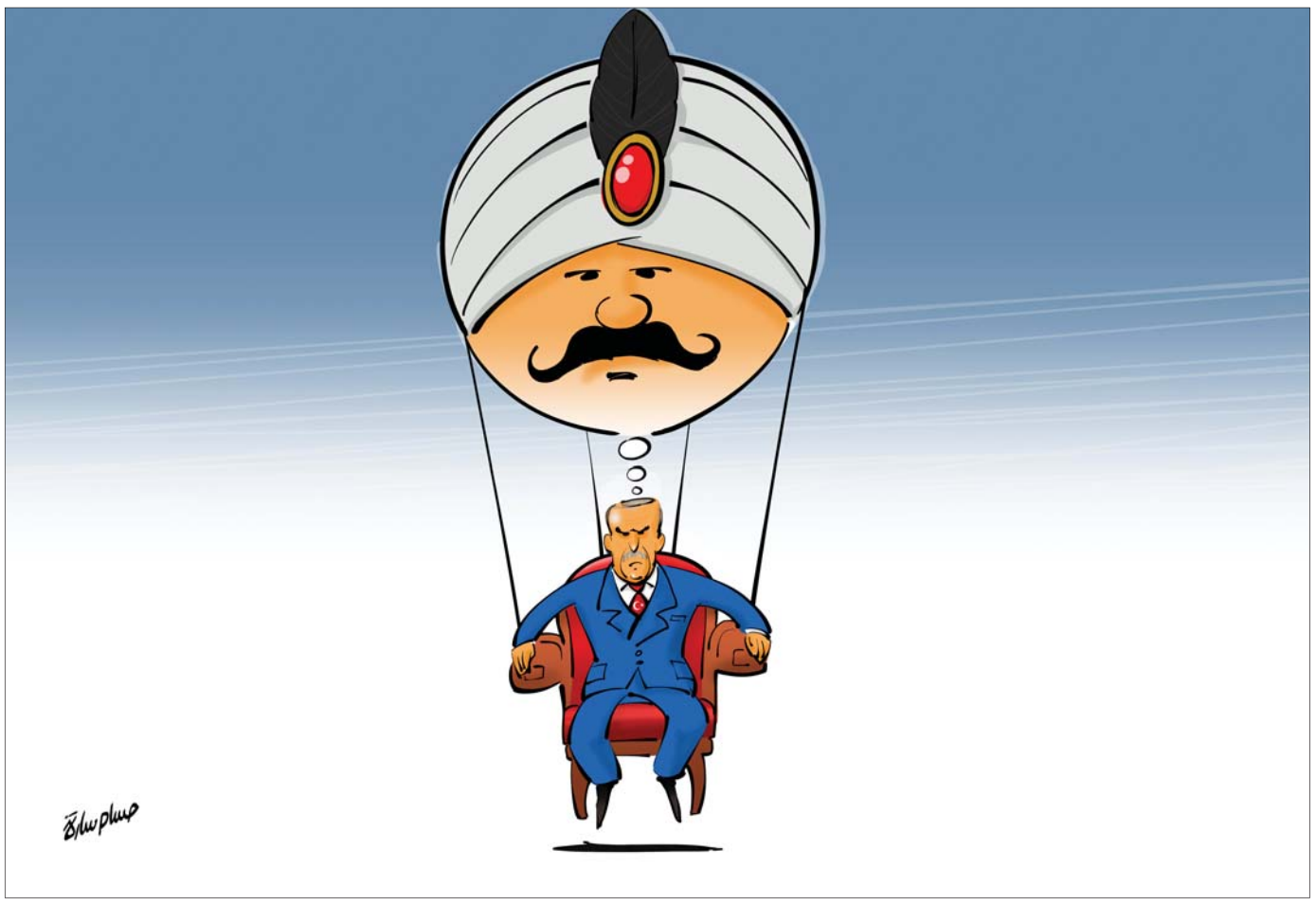

متى يتخلى رجب الطيب عن أردوغان؟

فاروق يوسف
كاتب عراقي

انتخب الأتراك رجب الطيب رئيسا، غير أن أردوغان يصر على أن يكون خليفة للمسلمين أو سلطانا عثمانيا جديدا.

توهّمَ أردوغان أن طموحاته العبثية تلتقي مع أحلام الأمة في استعادة أمجادها من خلال الترميز الديني الذي عثر عليه في مشروع جماعة الإخوان المسلمين. ذلك لم يكن صحيحا.

فالشعب التركي يريد رئيسا يستكمل طريقا مدنيا اختطه مؤسس جمهوريته مصطفى كمال أتاتورك ولا ينقضه.

الشعب التركي يرغب في أن يرى في استمرار نهضته الاقتصادية عنوانا لرخائه، لا فرصة لتعريضه لانتكاسات متتالية بسبب سياسات لا ترى في الواقع إلا مناسبة للقفز إلى هاوية من الهذيان العقائدي.

يشعر الشعب التركي بالحاجة إلى أن يكون جزءا من أوروبا، لذلك يحلم بأن يفك ارتباطه بالشرق متأنيا، لتكون تركيا جزءا من الاتحاد الأوروبي من غير ممارسة عمليات ابتزاز تزيد من سعة المسافة التي تفصل بين أوروبا وتركيا.

غير أن أردوغان لم يكن ذلك الرئيس الذي يمكن أن يراهن عليه الأتراك في تحقيق أحلامهم التي هي ليست أحلام أمة بائدة، بل هي أحلام شعب قيْدَ التشكل بالمفهوم الحديث. تركيا الحديثة هي اقتصادها القوي وليس تاريخ سلاطينها.

ذلك أمر هو أشبه بالجنون بالنسبة لأردوغان.

فالرجل الذي اصطدم أخيرا بجدار أوروبا التي رفضت ابتزازه كان يتوهم أن في إمكانه أن يجر أوروبا إلى إدلب، ومن ثم إلى سوريا. ذلك لم يحدث ولن يحدث.

أما حكايته البلهاء عن اللاجئين السوريين الذين سبق له وأن استعملهم في حلب، فإنها لن تكون نافعة. هذه المرة سترد أوروبا بعنف. كان هناك اتفاق سابق وعليك الالتزام به.

لقد مارس أردوغان في حياته السياسية ألعابا كثيرة كشفت عن شخصية المحتال والمخادع الذي يقول شيئا ويفعل ما ينقضه. غير أنه في ظل الفوضى التي عاشها العالم العربي اكتسب شعبية لم يكتسبها داخل بلده.

تلك كانت واحدة من الأكاذيب التي ارتبطت بشخصيته، بحيث صار لا يرى طموحاته إلا من تدخله في الشؤون العربية بدءا من سوريا وانتهاء بليبيا.

من سوء حظ الشعب التركي أن الرجل المكلف بالملف الأوروبي صار صانع أحداث تستفز أوروبا وتجعلها تتشدد في موقفها الرافض لانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي.

هل على الأتراك أن يندموا اليوم لأنهم انتخبوا رجب الطيب، من غير أن يتوقعوا أنه يخبئ لهم وحشا اسمه أردوغان؟

من وجهة نظر أوروبا فإن شعبا يأتمن رجل مغامرات طائشة مثل أردوغان على مستقبله لا يصلح أن يكون جزءا من فكرة الوحدة الأوروبية القائمة على التنوع بكل ما ينطوي عليه ذلك التنوع من جدل إيجابي.

أردوغان قدّم صورة سيئة للاختلاف.

لقد قالت أوروبا أخيرا كلمتها. هناك رفض قاطع لمسألة التدخل التركي في الشؤون الداخلية للدول الأخرى وبالأخص في سوريا، كما وضعت أوروبا حدا قاطعا لمسألة اللاجئين السوريين الذين صاروا بالنسبة لأردوغان بضاعة رخيصة يعرضها في المزاد متى يشاء.

هل على الأتراك أن يندموا اليوم لأنهم انتخبوا رجب الطيب، من غير أن يتوقعوا أنه يخبئ لهم وحشا اسمه أردوغان؟

ما أتوقعه أن أردوغان بعد فشله أوروبيا سيلتفت إلى الداخل لا من أجل أن يعيد ترتيب أوراقه الإصلاحية، بل من أجل تفجير ذلك الداخل. ليس صعبا عليه أن يخترع أعداء جددا. وليس من المستبعد أن يعلن عن محاولة انقلابية جديدة. كما أنه قد يبحث عن وسائل لإحراج حلف الناتو في مواجهة روسيا التي هزمته في إدلب من خلال اتفاقية حفظت له ماء وجهه.

لا أعتقد أن أردوغان سيبلع إهانته أوروبيا. غير أن تفكيره بمستقبله السياسي سيردعه عن القيام بأي فعل انتقامي. لذلك فإنه، في آخر الأمر، سيعود إلى رجب الطيب ليسأله عما يراه صحيحا.

يومها سيتخلص الأتراك من أردوغان.

أردوغان ومعونة الإخوان

عمر علي البدوي
كاتب سعودي

التخبط الذي أصبح سمة سلوك تركيا في ظل رئيسها رجب طيب أردوغان، أدى به إلى الكثير من المزالق التي كانت لمخوبة بفضل الدعاية المجانية التي كان يقدمها له طابور خامس من الإخوان المسلمين في كل دولة عربية. وأصبح أداء الرئيس أردوغان وأجهزته الدعائية والإعلامية الآن يشبه اللعب على المكشوف.

بعد أن كانت دول الخليج العربي وعواصم الاستقرار والاعتدال، لاسيما المملكة العربية السعودية، تُتهمُ بإرسال متشدديها إلى مناطق الصراع التي خلفتها سنوات الربيع العربي، كانت السعودية تدرأ عنها هذه التهمة المزيفة بالأدلة القاطعة، لكن الحقيقة كانت تبددها قوة الدعاية المنبرية التي استثمر فيها أردوغان، خاصة الممولة قطريا، التي نذرت جهدها وطاقتها لخدمة أجندة أردوغان وتلميع صورته وبخس منافسيه في الفضاء الإقليمي والدولي.

في ظل الضغوط الهائلة والنتائج الوخيمة التي تدفع أنقرة ثمنا باهظا لها، أصبحت تجاهر بما كانت تضمره من توظيف الجماعات المتشددة والاستثمار في خطاب التطرف ورموزه لتمهيد الأرضية المواتية لمدّ نفوذها وتوسيع دورها وتبرير سلوكها، إذ وأمام انخفاض رصيد المصداقية لمنصات وقنوات الإخوان في حسابات الشعوب العربية، أصبحت وكالات وصحف وقنوات تركية تلجأ إلى رموز وجماعات التطرف علنا غير آبهة بالإجماع الدولي على نبذها ومقاومتها.

نشرت صحيفة ينى شفق التركية المقربة من الرئيس التركي، فيديو عبدالله المحيسني، المسؤول الشرعي السابق في هيئة تحرير الشام (النصرة سابقا)، يخاطب الشعب التركي، مناشدا القوات التركية دعم إدلب. وأتى نشر الفيديو في إطار الترويج الإعلامي للعملية العسكرية التي أطلقتها تركيا شمال غربي سوريا، ودعم الجنود الأتراك.

في ظل الضغوط الهائلة والنتائج الوخيمة التي تدفع أنقرة ثمنا باهظا لها، أصبحت تجاهر بما كانت تضمره من توظيف الجماعات المتشددة والاستثمار في خطاب التطرف ورموزه لتمهيد الأرضية المواتية لمدّ نفوذها وتوسيع دورها وتبرير سلوكها

وآخر ما عرف عن المحيسني المصنف إرهابيا على قائمة الخزانة الأميركية، أنه يقضي معظم وقته في مدينة غازي عنتاب، ويقيم فيها لفترات طويلة برعاية ضباط الأمن الأتراك المكلفين بالعمل مع الفصائل المسلحة في الشمال السوري. ويطلّ على مشايعيه في مواقع التواصل الاجتماعي حسب ما تقتضيه حاجات الجماعات المتطرفة ورعاتها من الدول الإقليمية التي تستثمر في المناطق الرخوة للأراضي العربية لغرز نفوذها وتوسيع رقعة تأثيرها.

ما إن مرّت قصة كلمة المحيسني دعما لتركيا، حتى نشرت وكالة الأناضول الحكومية فيديو يبيّن مجموعة من المسلحين، وصفتهم بـ"معتدلين"، كانوا يركبون المدرّعات، دون أن تنتبه الوكالة إلى أنهم يربطون على أكتافهم شارات داعش، ما اضطرها بعد دقائق إلى حذف الخبر.

سواء أرادت ذلك أو لم تنتبه، قدمت وكالة الأناضول مادة دسمة لناشطين عرب على مواقع التواصل الاجتماعي لإلقاء الضوء على حقيقة توظيف الحكومة التركية لميليشيات متطرفة في مجهودها العسكري غير النزيه في كل من سوريا وليبيا، فيما تتغاضى الكثير من منصات الإخوان الممولة قطريا، أو تزيّف هذه الحقائق القاطعة وتشوش عليها بقائمة من التهم المرسلة في وجه عواصم عربية رفضت التدخل التركي السافر وقاومت رغبته في كسر مناعة العالم العربي واستعصاءه على الوجود التركي غير الشرعي.

فيما ترفض المؤسسات الإعلامية التركية والقطرية على حد سواء، أي شكل من أشكال النقد لسلوك أنقرة وعبث أردوغان، وتخوض في حملة ممنهجة من التحريض والتشويه والاتهامات غير المبررة، لإسقاط رموز دينية وشعبية وقفت في وجه الدعاية التركية وفنّدت سلوكها.

من ذلك البث التحريضي غير العادي الذي واجهه الداعية السعودي عائض القرني، وجملة من التهم السطحية التي تعرض لها من نفس هذه المنصات التي احتفت برموز التطرف، لأنه رفض تمجيد أردوغان وانتقد صورته والثناء المبالغ في حقه.

كما وقعت وكالة الأناضول في خطأ يكشف حجم التنسيق مع الظهير القطري في الإطار الإعلامي، عندما أشارت في تقرير يهاجم القرني، إلى حسابات مزيفة على تويتر تدعي بأنها سعودية، لكن سوء التركيز والتقدير جعلها تكشف هويتها الحقيقية، وقالت إنها حسابات قطرية.